

حاسب نفسك!!!

نصيحة من:

الشيخ الفاضل الكريم محمد الثاني محمد

- حفظه الله -

في محاضرته بمناسبة

حفلة اختتام الدورة العلمية في القرآن الكريم وعلومه

في جامع التوحيد الإسلامي أوكي إريسي أيدي، ولاية أوشن

قام بتفريغه وتخريج النصوص:

أبو عبد الله إبراهيم بن تاج الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول وأهله وصحبه وسلم. أما بعد:

فهذه الرسالة إخواني في الدين نصيحة من الشيخ الفاضل الكريم محمد الثاني محمد في محاضراته بمناسبة حفلة اختتام الدورة العلمية في القرآن الكريم وعلومه. وهذه النصيحة مع إيجاز الألفاظ فهي واضحة العبارة ومملوئة بالفوائد، وقيمتها جزيلة، وتأثيرها (لمن كان له قلب) عظيمة، ولا تجد مثل هذا القول المفيد إلا ممن أخذ هذا العلم من ورثة النبي صلى الله عليه وسلم، فنقول لشيخنا جزاكم الله خيراً الجزاء وأحسن الله إليكم.

لذا أرى أن لا يكون مثل هذا الكلام مقصوراً على الحاضرين الحفلة بل ينبغي أن يعم النفع طلبه العلم عموماً وطلبة القرآن الكريم وعلومه خصوصاً عاملاً بقول نبينا صلى الله عليه وسلم "نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من السامع"¹. فقامت بهذا العمل مع تخريج الأدلة المذكورة وتراجم مختصرة للأعلام ليكون ذلك تذكرة للحاضرين وتبصرة للغائبين، وجعلت لها العنوان: "تحاسب نفسك". أسأل الله أن يتقبل مني ومنكم وأن يبارك في علمنا ويثبتنا على طريق الحق ويهدينا إلى الصراط المستقيم إنه قريب سميع مجيب.

أبو عبد الله إبراهيم بن تاج الدين
طالب بمدرسة التوحيد الإسلامية
أوكي إريسي، أيدي، ولاية أوشن

¹ رواه أبو داود، والترمذي، وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال: ((رحم الله امرأ)) - صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألباني (١٤٧/١)

قال الشيخ محمد الثاني محمد:

السلام عليكم ورحمة الله.

لك الحمد يا الله والشكر سرمدا
تفضلاً²
 وأنزلت الفرقان محمدا
 عليه صلاة الله... ذكر أحمدا
 وبعد: فالإنساء ليس يشرف
 إلا بما يحفظه ويعرف³
 لذلك كان حاملوا القرآن
 أشرف الأمة أولي الإحسان
 وإنهم في الناس أهل الله
 وإن ربنا بهم يباهي
 وقال في القرآن عنهم وكفى
 بأنه ورثة من اصطفى
 وهو في الأخرى شافع مشفع
 فيه وقوله عليه يسمع

حاسب نفسك قبل أن تُحاسب!!!

فشرف الإنسان أيها الإخوة بمحفوظه وقيمة محفوظه، فإذا كان الإنسان يحمل شيئاً حقيراً تافهاً فمنزلة منزلة هذا الشيء، وإذا كان يحمل شيئاً عظيماً نفيساً قيماً فمنزلة منزلة هذا الشيء النفيس. وهل لمسلم شيء أشرف من القرآن؟ وهل لمسلم كلام أشرف وأعظم وأفضل من القرآن؟ لكن، أيها الإخوة لو نظرنا إلى واقعنا لتسائل نساء أنفسنا هل نعتقد أن هذا القرآن الذي هو كلام ربنا هل نعتقد بقلوبنا أنه أفضل من كل كلام؟ هل نحن مسلمون نعتقد أن القرآن أفضل شيء وأعظم شيء وأنفس شيء عندنا؟ فإذا كنا نعتقد ذلك، هل نعتزف بذلك؟ وإذا كنا نعتزف بذلك، هل نصدق ذلك بأفعالنا؟ هل أفعالنا تصدقنا على ما نعتقد؟ وعلى ما نتفوه به؟ نجيب عن أنفسنا. أيها الإخوة، لا شك أن الجواب يكون لا. ولو كنا نعتقد أن كلام الله أفضل كلام، ونعتزف بذلك، فإن أفعالنا لا تصدق بذلك. ونحاسب أنفسنا أيها الإخوة قبل أن نحاسب!

أكثرنا هجرنا القرآن

² بيتان، ما سمعت ما قال الشيخ هنا³ أبيات ٣ - ٧ : متن الدرّة للإمام محمد بن محمد بن محمد بن الجزري

هذه النعمة، نعمة الوقت، هذه النعمة، نعمة الإيمان الذي هدانا الله إليه فضلا منه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾⁴ هل أفعالنا تدل على أننا نقدر هذه النعمة؟ هذا الوقت الذي منّ الله به علينا نصره في أمور ، في أمور حقيرة، نصره في أمور جملها وإن كان تنفع إنما تنفع في هذه الحياة الدنيا. ونعمة العقل التي منّ به الله علينا نصره إلى حفظ أشياء دنيئة، نصره وقتنا في حفظ كلام البشر ونحجر كلام ربنا. والسابق فينا هو من يعطي كلام الله شيئاً قليلاً من وقته أما أكثرنا هجرنا القرآن، أكثرنا هجرنا القرآن.

هذا القرآن الذي لا يفارق صاحبه

وهذا القرآن الذي يقول الله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾⁵. هذا القرآن شرف لنا أيها المسلمون والله تعالى سيسألنا عنه. هذا القرآن الذي أنزل الله نورا ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾⁶. هذا القرآن الذي لا يفارق صاحبه، يشرفه ويرفعه في الدنيا ويأنسه في القبر ينور قبره ويأنسه عند البعث ويرفعه درج الجنة. صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقبل ذلك، أثر روي عن عائشة⁷ رضي الله عنها، لأن أم الدرداء⁸ رضي الله عنها سألتها عن الفرق بين أهل القرآن في الجنة وبين سائر المؤمنين؟ فقالت: إن درج الجنة يعني إن درجات الجنة بعدد آي القرآن.⁹ ومصدق ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ، وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها.¹⁰

كم تحفظ؟

⁴ سورة الأعراف: ٤٣

⁵ سورة الزخروف: ٤٤

⁶ سورة النساء: ١٧٤

⁷ عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أم المؤمنين ، أفضله النساء مطلق ، وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا خديجة ففيه خلاف شهير ، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح (التقريب لابن حجر رحمه الله تعالى)
⁸ أم درداء ، زوج أبي درداء ، اسمها هجيمة ، وقيل: جهيمة الأوصابية الدمشقية ، وهي الصغرى ، وأما الكبرى فاسمها خيرة ، ولا رواية لها في هذه الكتب ، والصغرى ثقة فقيهة ، من الثالثة (أي : الطبقة الوسطى من التابعين) ماتت سنة إحدى وثمانين (التقريب لابن حجر رحمه الله تعالى)

⁹ ما وجدت أصل هذا الأثر ، إلا مثل ما روى الإمام الترمذي وغيره. حدثنا قتيبة ، و أحمد بن عبدة الضبي ، قالوا : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من صام رمضان ، وصلى الصلوات ، وحج البيت - لا أدري : أذكر الزكاة أم لا؟ - إلا حقا على الله أن يغفر له ، إن هاجر في سبيل الله ، أو مكث بأرضه التي ولد فيها" قال معاذ: ألا أخبريها الناس؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ذر الناس يعملون ، إن في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها ، وفوق ذلك عرش الرحمن ، ومنها تقجر أنهار الجنة ، فإذا سألتهم الله ، فسألوه الفردوس" هذا اللفظ للترمذي (٢٥٣٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى
¹⁰ أبو داود (١٤٦٤) ، والترمذي (٢٩١٤) وغيره "حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنا عاصم بن بهدلة عن رز عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما أنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها" وهذا اللفظ لأبي داود وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى

هذا القرآن أيها الإخوة الذي يرفع الله أصحابه في هذه الدنيا، يكفيننا حديث عمر رضي الله عنه سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين. يا أخ مسلم، القرآن حجة لك أو عليك. فأنت بين رجلين، إما أن يكون القرآن حجة لك أو عليك، فما الذي تختار لنفسك؟ هل تختار أن يكون حجة لك أو ترضى أن يكون القرآن حجة عليك؟ هذا ابن أبزى¹¹، قصته معروفة: نافع بن الحارث كان واليا لعمر بن الخطاب على مكة، لقيه يوما عمر بموضع يسمى عسفان فسأله أين تريد فقال: أريد السفر، فقال: فمن استخلفت على أهل الوادي؟ قال: ابن أبزى، فتعجب عمر قال فمن ابن أبزى؟ يعني - استخلف رجل لا يعرف من هو، الخليفة لا يعرف هذا الرجل، يسأل عنه يقول: ابن أبزى، فقال عمر فمن ابن أبزى؟ فقال مولى من موالي، فتفاهم الأمر على عمر، فاجأه بأمر أعظم من الأول، فقال تخلف على أهل الوادي لم تجد من تخالف إلا مولى من الموالي؟ فقال: إنه حافظ لكتاب الله وعالم بالفرائض فقال (عمر): ألا أن نبيكم قال: "إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين"¹². فهذا القرآن أيها الإخوة، إذا كنا مؤمنين حقا ومصدين لهذا الرسول صلى الله عليه وسلم ومصدين لأخباره فهذا الذي يفعل القرآن بأصحابه. والواقع مصدق لهذه الآثار. فأهل القرآن أيها الإخوة هم أهل الله وخاصته، وإن التمسك بالقرآن الكريم حق على كل مسلم. ولينظر كل مسلم ما نصيبه من القرآن، لينظر كل منا ما نصيبه من القرآن. أترضى بالدون أم تنادي حتى تصل إلى أعلى الدرجات. فإذا نظرنا إلى حالنا كأن ربنا يذمنا ويلمنا ونحن لا نبالي بهذا. وفي أمور الدنيا ترانا نتسابق، وأما في أمور الآخرة - في حفظ القرآن وفي الاشتغال بعلومه وسائر علوم الشريعة، ترانا نتأخر. تجردنا ونتأخر. الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾¹³ ففي أمور الدنيا ترانا نتسابق، نتسابق في أمور الدنيا، كبار السن، والمتوسطين، والصغار، ومن عجب العجائب تجد طلاب العلم والمشتغلون بحفظ القرآن، وإذا وجدتهم (وجدتهم) في أمور الدنيا. لرئيتهم يخوضون في أمور الدنيا، تتعجب من هذه حتى الحفظة - الذين يحفظون القرآن. فأيتها الإخوة ونتق الله ونحاسب أنفسنا. فلينظر ما موقع هذا القرآن عندنا، ولينظر كل منا ما نصيبه من القرآن. كما سبق إن درج الجنة بعدد آي القرآن، فلينظر كل منا ما يحفظه من القرآن، فلتنظر، كم تحفظ؟

كم عمرك أنت ، تحرم نفسك عن هذا الفضل العظيم؟

¹¹ عبد الرحمن بن أبزى - بفتح الهمزة ، وسكون الموحده بعدها زاي مقصور - الخزاعي ، مولا هم ، صحابي صغير / وكان في عهد عمر رجلا وكان على خراسان لعلي

¹² رواه مسلم (٨١٧) "حدثني زهير بن حرب حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي عن انب شهاب عن عامر بن واثلة أن نافع بن الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة ، فقال من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. فقال: ومن ابن أبزى. قال: مولى من موالي. فقال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين."

¹³سورة الأعلى: ١٦

وأمر آخر أختم به ، خطاب أوجهه للذين يزعمون أن العمر قد ضاع وأنَّ المسؤولية قد ثقلت وعظمت ، يصرفهم هذا عن الاشتغال بكتاب الله يعني - يبررون هذه المبررات، وأن هذه المسؤولية و الاشتغال....، هذا الاشتغال وهذا الذي تبرره من أنك... أن العمر قد طال به، لماذا لم يصرفك عن الاشتغال بطلب المعاش ، بطلب ما تعيش به في هذه الدنيا الفانية؟ لماذا لم يصرفك عن هذا؟

قرأت مرة ، أقرأ قصة لامرأة حفظت القرآن وهي في تمانين من عمرها. امرأة عجوزة لا تستطيع أن تقرأ القرآن إلا بالمكبر يسمونه (Eye Glasses) ، ما تستطيع لا تستطيع أن تقرأ القرآن إلا به ، لكن حفظت القرآن وهي تمانين من عمرها، كم عمرك أنت؟ تحرّم نفسك عن هذا الفضل العظيم. وترضى بأن تتساهل ، لا تخشى أن يكون القرآن حجة عليك. أنا أنصح نفسي وإياكم أيها الإخوة. كما بدأت بالتساؤلات ، فأنا أرجو أن أجيب عن نفسي ما الذي أعتقد في هذا القرآن؟ أعتقد في هذا القرآن؟ وما الذي أعترف به؟ وما الذي أعمل به؟ فإن الإيمان أركانه¹⁴ ثلاثة : إيماننا قصد ، وقول، وعمل. فإذا كنت تعتقد وتعترف فهل أنت تعمل به؟ إذا كنت تعتقد وتعترف فهل أنت تعمل به؟ هل تصدق اعتقادك بقول وعمل أم لا؟ فكل منا أدرى بنفسه فليجب عن نفسه.

أسأل الله تعالى أن يجعل القرآن حجة لنا جميعا لا حجة علينا، و أن يجعلنا جميعا من أهل القرآن، وأن لا يجعلنا شقيا ولا محروما. أتوقف هنا أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما كان في هذا القول من الصواب وما كان فيه من الأخطاء أسأل الله تعالى أن يغفر لي وأن يتوب علي، أسأل الله تعالى أن يسد لنا في أقوالنا وأعمالنا وأن يجعلنا صادقين مخلصين. السلام عليكم ورحمة الله.

(قلت) قبل أن تنصرفوا أيها الإخوة، أترككم إلى ما قال الحافظ ابن رجب، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي : "فينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية، ولذا أمر أن ينظر إلى من هو فوقه وأن يتنافس في طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾¹⁵ 16

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرا.

¹⁴ المراد به : شروط صحة الإيمان. فإن أركان الإيمان ستة كما ثبت في حديث جبريل المشهور رواه مسلم (٨)

¹⁵ سورة المطففين : ٢٦

¹⁶ جامع العلوم والحكم ، ص : ١٢٧